التبيان عن شهر شعبان شهرُ تهيئة القرآن واستعداد القلوب لرمضان

2026-02-06

الحمد لله الذي جعل الأزمنة مواسم للطاعات، وفضَّل بعض الأيام والشهور على بعضٍ بحِكَمٍ بالغات، فسبحانه من إله خصّنا بخير كتاب أُنزل. وأكرمنا بخير نبيّ أُرسل، وأتمّ علينا النِّعمة، فهدانا إلى ما فيه صلاحنا وفلاحنا. فكنّا خير أُمّة، فقال تعالى في سورة البقرة: {وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِے عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَۖ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ اُلْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ}. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا. وفضّل بعض الأزمنة على بعض أيّاما وشهورا. وجعل فيها مواقيت الفرائض والسُّنَن وأعدّ للعاملين فيها أجرا كبيرا. وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا ونبيّنا ومولانا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. أَرْسَلَهُ ربّه إِلَى النَّاسِ مُصْلِحًا وَمُزَكِّيًا، وَعَلَى الفَضَائِلِ دَلِيلاً وَمُرَبِّيًا، فأنزل عليه القرآن تنزيلا، وجعل تطبيقه على صِدق الإيمان دليلا، وجعل الإقتداء به شرطًا حتى يكون عمل المسلم مقبولا، فَكَانَ صلى الله عليه وسلم قُدْوَةَ الصَّابِرِينَ، وَأُسْوَةَ السَّالِكِينَ،

يا أيّها الناس هذا سيِّدُ الأُمَمِ * في طاعة الله رجّانا ورغّبنَا

ومِنْ مخالفة الرحمان رهّبنا * يا أمّةً سعِدَتْ هذا نبيّكمُ

صلّوا على الهادي إلى الدّين القويمْ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدِنا محمد. مَن كمُلت بذِكره الشهادة. وعلى آله ذوي المجد والسيادة. وصحابته أهل النُّسُك والعبادة. صلاة تمنحنا بها لطائف العلوم والإفادة. وتتوّجنا بها بتاج العزّ واليُمن والسعادة. وتحفظنا بها من الموانع القاطعة عن الوصول إليك في البدء والإعادة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أما بعد، فيا** أيها المسلمون. إنّ

من أعظم نِعَم الله على هذه الأمّة المحمدية، أن ربط قلوبها بالزمان والمكان، وربط أعمالها بالمواسم المباركة، لتزداد قربًا من الله، واستعدادًا لطاعته. نعيش هذه الأيام في شهر شعبان، هذا الشهرُ الذي يغفل عنه كثير من الناس، مع أنه شهرٌ عظيم، يقع بين شهرين جليلين: رجب الحرام ورمضان الصيام والقرآن. له منزلة خاصة في السُّنة، وله ارتباط وثيق بالقرآن والسيرة النبوية. روى الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ، عَنْ سيّدنا أسامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّهُ قالَ: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمَ أَرَكَ تَصُومُ شَهَراً مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟! قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)). فشهرٌ تُرفع فيه الأعمال، وكثير من الناس في غفلة! وشهرٌ يُهيِّئ لرمضان، وكثير من القلوب غير مستعدّة! أيها المسلمون. وشعبان ليس مجرّد شهرٍ تمهيدي لرمضان من جهة الصيام فقط، بل له صلةٌ بالقرآن والتنزيل، وبالسيرة النبوية، وبإعداد الأمّة لحمل رسالة القرآن. ومن أعظم ما ارتبط بشهر شعبان من القرآن: نزولُ الآيات المتعلّقة بتحويل القبلة. فقد ثبت في كُتُب السيرة والتفسير، أنّ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة كان في شهر شعبان، من السنة الثانية للهجرة، ونزل فيه قول الله تعالى في سورة البقرة: {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِے اِلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةٗ تَرْضٰيٰهَاۖ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اِلْحَرَامِۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۖ }، وهذه الآيات الكريمة، ليست مجرّد تغيير اتّجاه في الصلاة، بل هي: إعلان لاستقلال الأمّة بعقيدتها، وربْطٌ لها بقبلة سيّدنا إبراهيم عليه السلام، وتمهيدٌ لنزول القرآن كاملًا في رمضان، قال الإمام القرطبي رحمه الله: (في تحويل القبلة امتحانٌ للإيمان، وتمييزٌ لأهل الطاعة من أهل الزيغ)، ولهذا قال الله بعدها مباشرة: {وَمَا جَعَلْنَا اَلْقِبْلَةَ اَلتِے كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَّتَّبِعُ اُلرَّسُولَ مِمَّنْ يَّنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۖ}، أيها المسلمون، وفي شعبان كذلك نزلت أو تتابعت آيات كثيرة من سورة البقرة، هذه السورة العظيمة التي قال عنها النبي ﷺ

في الحديث الذي رواه مسلم: ((اِقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)). أَيْ: تَحُلُّ الْبَرَكَةُ عَلَى قَارِئِهَا فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَكُلِّ شُئُونِهِ، كَمَا أَنَّ الْحَسْرَةَ تُحِيطُ بِتَارِكِهَا وَهَاجِرِهَا، وَهَذَا مِمَّا يُحَفِّزُ الْعَبْدَ لِكَثْرَةِ قِرَاءَتِهَا. وكذلك: فإِنَّ سورَةَ البَقَرةِ لا تَسْتَطيعُها البَطَلَة. فَسَّرَ رَاوِي الْحَدِيثِ مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَامٍ ((الْبَطَلَةَ)) هُنَا بِالسَّحَرَةِ، فَقَارِئُهَا قَدْ حَصَّنَ نَفْسَهُ مِنَ السِّحْرِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَنَّ الْمَسْحُورَ وَالْمَعْيُونَ وَالْمَمْسُوسَ إِذَا دَاوَمُوا عَلَى قِرَاءَتِهَا ذَهَبَ مَا بِهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. أيها المسلمون، وسورة البقرة هي السورة التي أسّست بناء الأمّة: في عقيدتها، وعباداتها، وتشريعاتها، وهويّتها، وأخلاقها، وعلاقتها بالله تعالى. وكأنّ شهر شعبان كان شهر التحوُّل والإستعداد: تحوُّل في الاتّجاه، أيْ القبلة، واستعداد لنزول أعظم كلام، أيْ نزول القرآن في رمضان، وتهيئة للنفوس بالطاعة والصيام، ولذلك لم يكن اهتمام النبي ﷺ بشعبان اهتمامًا عابرًا، بل كان اهتمامًا عمليًا. تقول أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فيما رواه الترمذي أَنَّهَا قَالَتْ: ((مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامَاً مِنْهُ فِي شَعْبَانَ، كَانَ يَصُومُهُ إِلَّا قَلِيلاً، بَلْ كَانَ يَصُومُهُ كُلَّهُ)). قال العلماء: (ليتدرّب الصحابة على الصيام، وتتهيّأ قلوبهم لرمضان، ولا يدخلوا الشهر وهم مثقلون بالغفلة)، لأنّ القرآن لا ينزل على القلوب الغافلة، ولا يُثمر في النفوس المشغولة بالدنيا، وإنما يحتاج إلى تهيئةٍ روحية، وصفاء قلب، وإقبال على الله. أيها المسلمون، وَإنّ مِمَّا رَفَعَ لشهر شعبان قَدْراً، وَأَحْسَنَ لَهُ بَيْنَ الشُّهُورِ ذِكْراً؛ إضافته إلى نبيّنا المصطفى، صلى الله عليه وسلم. وكفى بإضافته له شرفا، روى الديلمي وابن عساكر. عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: ((رجب شهر الله. وشعبان شهري. ورمضان شهر أمّتي)). وإنّ ممّا منّ الله به وأنعم. في هذا الشّهر المكرَّم. على حبيبنا المعظَّم. سيّدنا ومولانا محمّد. صلّى الله عليه وسلّم. تلك المنّة العظيمة. والنّعمة الجسيمة. التي أكرمه الله بها. ومنّ بها عليه. حيث أَنْزَل فيما أنزل عليه. قوله تعالى في سورة الأحزاب. تنبيها لنا

وتعليما. وتشريفا لقدره نبيّه وتعظيما: {إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا}، فازداد بذلك نورا على نور. وبرهانا على برهان. اللهمّ صلِّ على سيّد الأكوان، سيّدنا ومولانا محمد أعظم بني الإنسان، من فاح سر ذِكره في شهر شعبان. فالشين شرف وامتنان. والعَين علوّ وعرفان. والباء بِرّ وإحسان. والألف أُلفة في القلب والجَنان. والنُّون نُور من الرحمن. فجاء الخطاب بأفصح بيان: {إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ}، بالتجلّي والرحمة والرضوان، وأتى الإذن الإلهي بالكرم والامتنان: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا}، ففزنا بالعطية من ذي الكرم والإحسان، فلهج بذِكره القلب واللسان، فبالصلاة عليه ننال عشرا من الرحمن، ونخرج بها من الظلمات إلى النُّور والجِنان، وسلِّم عليه وعلى آله عدد الإنس والجان. وعدد ما يكون وما قد كان. أيّها المسلمون. قال علماء التفسير. عن هذه الآية ذات الخير الكثير. أنّها نزلت في شهر شعبان. كما في أسباب النزول للسيوطي رحمه الله. وجاء في كتاب (شهر شعبان ماذا فيه). لمحدِّث مكة السيّد محمّد علوي المالكي رحمه الله قال: وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله عن أبي ذرّ الهروي: أنّ الأمر بالصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. كان في السنة الثانية من الهجرة، وقد قيل: رجب شهر الإستغفار. ورمضان شهر تلاوة كلام الله العزيز الغفّار. وشعبان شهر الصلاة والسلام على النبيّ المختار. صلى الله عليه وسلم. فينبغي للمسلم أن يستكثر منها في كلّ وقت وآن. لا سيما في شهر شعبان. شهر الصّلاة والسّلام على سيّد ولد عدنان. صلى الله عليه وسلم.

أَدِم الصلاةَ على النبيِّ مُحمدٍ * فَقَبُولُها حَتْمٌ بِدُونِ تَرَدُّدِ

أعمالُنا بينَ القَبُولِ وَرَدِّهَا * إلا الصلاةَ على النبيّ مُحمدِ

صلّى الله عليه وآله وسلّم. فيحق لنا أن نفرح ونسعد بنزول هذه الآية الكريمة. على نبيّنا الكريم. صلى الله عليه وسلم. في هذا الشهر الكريم

خاصة. وعمّ بها الفضل على الأُمّة المحمدية من أسرار وأنوار هذه الآية الكريمة. التي أظهرت عظمة مقام الحبيب صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى. ولا يَخفى على كل مؤمن ما للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من ثواب وفضائل لا تعد ولا تحصى. أخرج الطبراني في معجمه الكبير عن الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما: ((قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا مِنَ الْعِلْمِ الْمَكْنُونِ، وَلَوْلا أَنَّكُمْ سَأَلْتُمُونِّي عَنْهُ مَا أَخْبَرْتُكُمْ، إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِي مَلَكَيْنِ، لا أُذْكَرُ عِنْدَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ فَيُصَلِّي عَلَيَّ إِلا قَالَ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَقَالَ اللَّهُ وَمَلائِكَتُهُ جَوَابًا لِذَيْنِكَ الْمَلَكَيْنِ: آمِينَ، وَلا أُذْكَرُ عِنْدَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ فَلا يُصَلِّي عَلَيَّ إِلا قَالَ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ: لا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَقَالَ اللَّهُ وَمَلائِكَتُهُ جَوَابًا لِذَيْنِكَ الْمَلَكَيْنِ: آمِينَ))، أيّها المسلمون. إنّ شعبان هو الميزان الحقيقي لصدق الاستعداد لرمضان. فمن دخل شعبان وهو بعيد عن القرآن، فليعلم أنّ رمضان قد يأتيه ولا ينتفع به كما ينبغي. ومن أصلح حاله في شعبان، فتح الله له أبواب الخير في رمضان. قال بعض السلف: (إنما يُوفَّق لرمضان من أصلح سريرته في شعبان)، واعلموا رحمكم الله، أنّ من فقه المسلم في دينه: أن يعرف أقدار الأزمنة، وأن يستثمرها فيما يُقرِّبه من الله. وشهر شعبان فرصة عظيمة: فهو فرصة لمراجعة علاقتنا بالقرآن قبل رمضان، فرصة للإكثار من الصيام والذكر والاستغفار، فرصة لتصفية القلوب من الأحقاد، واستعدادًا لليالي المغفرة، وقد ورد في الحديث، أنّ الأعمال تُعرض في شعبان، وأنّ الله يطّلع على عباده، فيغفر للمستغفرين، ويؤخِّر أهل الشحناء، فكيف يرضى مسلم أن يدخل رمضان وقلبه مملوء بالحقد أو القطيعة؟ فاتقوا الله عباد الله، هيّئوا قلوبكم للقرآن في شعبان، هيّئوا ألسنتكم للذكر، هيّئوا جوارحكم للطاعة، حتى إذا أقبل رمضان، أقبلتم عليه بقلوبٍ حية، ونفوسٍ مستعدّة. اللهم بارك لنا في شعبان، وبلّغنا رمضان، اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا. اللهم ارزقنا الإخلاص وحُسن العمل، وطهارة القلوب، وصلاح السرائر. اللهمّ أكتبنا

من عبادك الطائعين. وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ. وألهمنا العمل بشرائع هذا الدين. بجاه نبيّك الأمين. سيّدنا ومولانا محمّد سيّد المرسلين. صلى الله عليه وسلم في كلّ وقت وحين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ